

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن الممدد ١٥ ملياً

الوحدات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

بجدة الأسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها السنول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بنهارع السلطان حسين

رقم ٨١ - طابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

للمدد ٥٦٢ القاهرة في يوم الاثنين ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ - الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٤٤ « السنة الثانية عشرة »

في الأدب والفن

للأستاذ توفيق الحكيم

قرأت في هذا الأسبوع رأيين في الأدب والفن أحدهما يحسن والآخر يهمني . فأما الأول فهو رأي صديقنا الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني في تقريره لقصتي السينمائية « رصاص في القلب » الذي نشره في جريدة البلاغ تحت عنوان « بين الأدب والسينما » ، وقد تحدث فيه عن حديثاً مستفيضاً ، ورحب بالتفاني إلى الفن السينمائي . ترحيباً ثم عن نفس نبيلة وزمالة شريفة . ثم تطرق من ذلك إلى الإسهاب في صلتى بالأدب العربي قائلاً : « وليس لصديق الحكيم عيب فيما أرى سوى قلة عنايته بالأدب العربي . ولست أزعج أنه لا يقرأ من الأدب العربي شيئاً ، والعياذ بالله ، فإن هذا يكون شططاً لا يفتقر ولا يقبل ولا يعقل ، وإنما أقول إنه لا يعني به كعنايته بالأدب الغربي من فرنسي على الخصوص ، وإنجليزي وألماني وروسي على العموم ... وهنا موضع التحرر من خطأ قد يقع فيه القارئ أو وهم يركبه ، فليست أقول إن صديق الحكيم لا يحسن العربية ، أو أن لغته ركيكة أو واهية البناء ، فإلى شيء من هذا أقصد ... فإن لأسلوبه العربي لجالاً ورشاقاً وحلاوة وطلاوة ... الخ

الفهرس

صفحة	
٣٠١	في الأدب والفن ... : الأستاذ توفيق الحكيم ..
٣٠٤	برنارد شو والحروف اللاتينية : لأستاذ جليل
٣٠٦	مهمل التمثيل المصري ... : الأستاذ دريني خشة ...
٣٠٨	الحرف اللاتيني والعربية .. : الأستاذ محمود محمد شاكر ...
٣١١	آراء وأحاديث في التربية { للأستاذ ساطع المصري والتعليم ... : بقلم الأستاذ محمد عبد الفتى حسن
٣١٤	القرآن الكريم في كتاب { الأستاذ محمد أحمد الصراوى الثمر الفنى
٣١٦	الاناء ... [قصيدة] : الأستاذ إلياس أبو شبكة ...
٣١٧	الشعر الجديد ... : الأستاذ الكبير (ا . ح)
٣١٨	حول شعراء الشباب ... : الأستاذ سيد قطب ...
٣١٨	فلم « رصاص في القلب » :
٣١٩	عمرو بن العاص ... : { للأستاذ عباس محمود العقاد بقلم السيدة وداد سكاكيني

فتبسط في أسلوبه ومعانيه ، وهذا ما يحمد عليه ؛ ولكن الذي نخشاه هو أن يكون جريه في طريق التبسيط داعياً إلى أن يجر معه الفكر من عليائه إلى مستوى غير المستوى الذي ينبغي له . ولعلنا واهمون ! ولعلنا نخاوف الصداقة ! فالحمية خوف ورجاء . وكلنا يرجو للمازني أن يخلق إلى جلال الفكرة كابرع في جلال العبارة . وليس هذا بمزير على الصديق العزيز .

وأما الرأي الآخر فهو رأي أخى أحمد أمين بك في الأدب الأمريكي الذي تحدث عنه في العدد الماضي من مجلة « الثقافة » قائلاً : « وهذا هو الأدب الأمريكي يحمل لواءه اليوم رجال مارسوا الحياة العملية في شتى شئونها ، ثم لم يكتبوا في خيال وأوهام وأحلام ، إنما يكتبون أكثر ما يكتبون في مشكلاتهم الحالية ومسائلهم اليومية وحياتهم الاجتماعية ، وأكثر هؤلاء لا يستوحون أساطير اليونان والرومان ، وإنما يستوحون مجتمعهم وما فيه وما يصبو إليه . فللأدب العربي أن يستوحى امرأ القيس أو « شهرزاد » ! ولكن يجب أن يكون ذلك نوعاً من الأدب لا كل نوع ، ولا هو النوع الغالب ولا هو الأرقى ... »

مع الأسف أراني مضطراً أن أقول للصديق الميكل أن استحياء أساطير اليونان والرومان وامرئ القيس و « شهرزاد » هو النوع الأرقى في الأدب ... في كل أدب ... لا في الماضي وحده ولا في الحاضر ... بل في الغد أيضاً وبعد آلاف السنين ، ما دام الإنسان إنساناً ، وما دام رقيه الذهني بخير لم يصبه نكاس . فالإنسان الأعلى هو الذي يصون « الجمال الفني » عن الاستغلال الأرضي في أى صورة من صورهِ ؛ ويحتفظ به لمتعة الذهن وثقافته الروحية . وإن اليوم الذي نرى فيه « الأدب » قد استخدم للدعابات الاجتماعية ، و « التصوير » استغل في معارض الإعلان عن السلع التجارية ، و « الشعر » جعل أداة لإثارة الجماهير في الانتخابات السياسية ، لهو اليوم الذي نوقن فيه بأن الإنسان قد كر فاققلب طفلاً بضع في فقه تحف الذهن

هكذا قال صديقي المازني . وإذا تأملنا هذا القول ومثله لتكشف لنا عن نتيجة عجيبة : هي أن أمثال تلك الروايات التي تشاع عن إغفالى للأدب العربي ليس فيها ما يعزيرني بقدر ما فيها من إساءة إلى الأدب العربي نفسه . فإن القارئ لأسلوب الذي تكرم المازني فاسمعه : تلك الصفات لا ريب قائلون : « ها هذا كاتب قد استطاع أن يجعل لأسلوبه « جمالاً ورشاقة وحلاوة وطلاوة » دون أن يحتاج في ذلك إلى الأدب العربي . فقيم الاهتمام بهذا الأدب ، وما نفعه إذن ؟ ! » ماذا يكون الحال إذا قلنا الناس أيها الصديق المازني بينما الحقيقة غير ذلك ؟ فالخلق الذي يجب أن يقال هو أنني ما وصلت إلى هذا إلا بعد اطلاع على الأدب العربي وتأمل له ونظر فيه . وكل ما في الأمر أنني أتناول هذا الأدب تناول رجل الفن لا رجل العلم ولا رجل البحث . وإني آخذ منه ما ينفعني وأمضي به صامتاً إلى فني الذي أمارسه . والفنان يحتاج من مادة اللغة إلى قدر غير القدر الذي يحتاج إليه العالم المحقق للنصوص المفسر المتون المستخرج للوثائق . وإن الفنان ليعرف بفرزته الفنية ما يلزم لفننه وما لا يلزم ، كالذوحة تدرك جذورها بالفطرة طريقها إلى موارد الماء ومواطن الغذاء . أما ذلك الذي يقال ويحكى عن الجلد والصبر على مشقة أدبنا العربي ، فهو توم ساذج ، أو مغامرة نمرقها ممن لا محصول عندهم غير هذا ، فما أظن الفوص في كتب الأدب العربي أشق من الفوص في بحار العلوم والفلسفة والآداب والفنون لمختلف الأمم والحضارات . وأنا الذي طالب الأديب بأن يكون « موسوعياً » على قدر الإمكان ، ولم بكل علم وبكل أدب وبكل فن (راجع كتاب زهرة العمر) لا ينتظر مني أن أستهل تلك المشقة المزعومة في مطالعة أدبنا العربي ! ! على أن الصديق المازني خليق بالشكر على كل حال ؛ فقد رأى من واجب الزمالة أن يكون غلصاً في الرأي . وما أجل هذا الموقف منه ! وما أخرى بي أن أبادله إخلاصاً بإخلاص ونصحاً بنصح ، فأكشف له عن مخاوف طالما سادرتني وساورت البهظين من محبيه . فهو قد أراد التقريب بين العامة والفصحي

وطرف الفكر ، لأنه لا يدرك لها نفعا غير ذلك النفع المادى المباشر . والأدب الأمريكى الذى يعجب به أحمد أمين بك هو فى أغلبه صحافة راقية أكثر مما هو أدب حقيقى . والأدب الحقيقى فيه هو ما استند إلى أساطير اليونان والرومان ، أى مخلوقات الإنسانية التى أبدعتها أحلامها الجميلة وخيالها الرائع . فالخلاف بينى وبين صديقى الأستاذ أحمد أمين هو على معنى « الرقى » ؛ فأننا لا أسلم أبداً بأن رقى الإنسان هو فى تقدم أسباب معاشه المادية . هذا حقاً هو الرقى بالمعنى الأمريكى ، ولكن الرقى بالمعنى الإنسانى المثالى شيء غير ذلك . إن الإنسان الأعلى ليس ذلك الذى يضع كل شيء فى فمه . . . ولكنه ذلك الذى يشمر بحاجته إلى متع معنوية وأغذية روحية وأطعمة ذهنية لا علاقة لها من قرب أو بعد بضرورات حياته المادية أو الجثمانية . هذا هو الفرق الوحيد بين الإنسان والحيوان . فالحيوان لا يحتاج إلى أن يطرب لبيت من الشجر أو لصوت من الفناء أو لتمثال من الرخام ، ولا يمكن أن يخطر له على بال وجود عالم آخر غير عالم الأكل والشرب والمأوى . ولو نشأ أدب بين فصيلة من الحيوان لكان هذا الأدب فى رأى قائماً فى جلته على مشكلات العراك على صيد الفريسة . . . ولا تنصرف خياله على الحلم بأن فى بطن كل سبع غزالاً سميناً ، وفى فم كل حيوان فى الغاب صنم أو عظم غذاء موفوراً بنفير وثب ولا بحث ولا تربص . بل فلنأخذ مثلاً جماعة النحل أو النمل وقد بلغت من الدقة والتناسق وروح التضامن فى نظامها الاجتماعى ما أنار الدهشة . . . هذا المجتمع الذى شيده النحل على هذا الأساس من « الوعى الاجتماعى » لا « الوعى الفردى » لو قامت فيه نخلة شاعرة أو أديبة ، أو ظهر فيه أدب وشعر ، فما يكون نوعه واتجاهه ومراميها ؟ لا شك عندى أن هذا الأدب أو الشعر سيكون له عين المرامى التى ينزع إليها الأمريكان ويتمناها لنا أخى أحمد أمين . سيتحدث أدب النحل وشعره عن الأزهار من حيث كنية عملها ، ونصيب كل عامل من عمال النحل فى نقله وإعداده والانتفاع به فى الخلية ، وعن حقوق الطوائف

العاملة وواجباتها ، ومشكلاتها اليومية وشئونها الحموية . أما الذى لن يتحدث أبداً فهو الثقافات النحل فى أدبه أو شعره إلى حسن الأزهار فى ذاتها ، وإلى بهائنها فى ألوانها ، وإلى تمايلها اللطيف مع النسيم كأنها تراقصه ، وإلى تفتحها ابتساماً للفجر وهى تعانقه ، وإلى نذاها بدموع الليل وهى تفارقه . . . لن يفتن النحل إلى هذا أبداً . . . ولو فعل لانتقل إنساناً فى لحظة واحدة . كل فضل الإنسان على غيره من المخلوقات أنه ارتفع إلى العناية بأشياء معنوية لا تتصل مباشرة بطعامه وشرابه ومقومات حياته المادية . وهذه الأشياء سمّاها فيما سماء : الفن والأدب . وحرص على أن تبقى على قدر المستطاع بعيدة عن تفاهاته الأرضية ، لتذكره من حين إلى حين أنه ليس حيواناً . وهنا عظمة الفن والأدب . ولكن مطامع الناس شامت أن تمد أيديها الفاتية إلى هذا الجوهر السامى لتسخره فى شئون الأرض ؛ فرأينا الشعر والأدب يتجهان إلى غايات نفعية ؛ فاستخدم الشعر أحياناً لدخ اللوك والأصراء من أجل المال والثراء ، أو لنشر الدعوة فى الدين أو السياسة من أجل الثواب أو الجزاء . ولكن كلمة الفن هى العليا دائماً ؛ وحكمه هو النافذ وحده . . . وما هو ذا قد حكم لاسرى القيس الجاهلى فرفمه وقدمه على داعية الإسلام حسان . وفى هذا الدليل على أن الفن الخالص لوجه الجلال الفنى هو الأرقى والأبقى . وذلك ما لا يسلم به الأستاذ أحمد أمين . فهو يعتقد أن الفن المستخر لخدمة الضرورات اليومية فى المجتمع هو الفن الأرقى ، متأنراً ولا ريب بتلك النظريات الحديثة فى السياسة والاقتصاد التى ترى كلها إلى تملق الجماهير ومداخلة الدهماء ومصانة الجماعات والنقابات والهيئات ومسايرة السكتل والسواد من الناس والشعوب ، موهمة إياهم بعمل كل شيء فى خدمتهم . وخدمة الجموع معناها خدمة مصالحهم الأرضية المادية من مأكل ومشرب ومأوى ؛ لأن السواد والسكتل لن يطلبوا أبداً ولن يقبلوا ولن يعرفوا غير هذا النوع المادى من الطالب . فإذا أردنا تسخير الفن فى هذه الأغراض فمعنى ذلك المهبوط به إلى ذلك اللون من أدب النحل . . . أو على الأقل إلى

برناردشو والحروف اللاتينية

لأستاذ - يسل

قالت مجلة (المستمع العربي) منذ نحو من حولين في الجزء (١٧) من سنتها الثانية^(١) - هي مجلة القسم العربي في دار الإذاعة البريطانية - في حديث عن كتاب (مبجزة نشأة اللغة) للأستاذ ويلسون

THE MIRACULOUS BIRTH OF LANGUAGE

By Prof. R.A. Wilson. (Guild Books, Ltd.)

[... وتتماز الطبعة الجديدة من هذا الكتاب بمقدمة إضافية كتبها (برناردشو) الأب الإنكليزي المعروف عالم فيها موضوعاً لا يخلو من أهمية إله الشرق الأدنى. إذ يرى هذا الكاتب الأمامي أن حروف الهجاء الإنكليزية لا تناسب اللغة الإنكليزية نظراً لأنها وضعت في الأصل من أجل اللغة

(١) هي اليوم في سنتها الرابعة

ضرب من أدب الدعاية والوداع والهداية

أما إذا كان في الإمكان ورد فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا فإن أرحب به وأسلم من الفور بأنه الأرق. ولكن هذا لا يهيئنا للأفذاذ الذين لا يظهرون في كل زمان. فن أين لنا في شعرنا بأمثال «المتنبي»؟ لقد أعدت قراءة ديوانه منذ أسابيع لأنظر كيف بقي ذلك الشعر الذي خرج من وحى الدناير. الحق أن المال كان باعته ولكن الفن كان غايته. ذلك الذهن الذي أبدع سوراً ترى لها أحياناً حركة ويهصر لها بريق ويسمع لها رنين كما في قوله:

وأمواء تصل بها حصاها صليل الحلى في أيد الفواني
ماذا يفتينا منه أن يكون حافزه استجداء مال أو مدح
ذو سلطان أو خدمة مجتمع أو تملق شعب؟ المهم أن يكون
هنالك فن قبل كل شيء. بغير هذا ما عاش لنا المتنبي حتى

اللاتينية التي تختلف في مخارج ألفاظها عن لغة أبناء التاميز. وعلى ذلك فهجاؤها يبعد كل البعد عن وقعها على السمع. ولا شك أن هؤلاء الذين يرغبون في حذف الهجاء الإنكليزي يقرون نقده هذا. وهو نقد لا شك سبهم القاري العربي أيضاً لاتصاله بالتغيير الذي يقترحه بعضهم بشأن كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية^(١). إذ يحق لنا أن نتساءل بعد ذلك إذا كان من الحكمة الاستغناء عن حروف الهجاء العربية التي تمتاز على الأقل بأنها وضعت خصوصاً للغة العربية واستبدال حروف بها، وإن كانت شائمة الاستعمال إلا أنها لا تناسب حتى هذه اللغات التي دأبت على استعمالها منذ أول عهدها بالكتابة [

ذلكم قول المجلة العربية الإنكليزية، وأغلب ظني أن الكاتب هو الأستاذ (باربار) المرباني المعروف في انغرب الأقصى (مسراكش) ومصر وفلسطين وغيرها، وهو رجل

(١) قلت: يعني الكاتب حسب ظني بعض الأفرنج مثل ماسينيون الفرنسي الذي كان اقترح ذلك. وإنا نريد من يدعو الأسم العربية من هؤلاء الأفرنج إلى تغيير حروفها - دفنها وهي حية، دفن الله أمته دفناً قوياً!

اليوم؛ فالسلطان يذهب والدولة تدول والشموب تتغير؛ ولكن الفن باق...

أما بعد، فليتجه الأدب العربي حيث شاء له أخى المبجل أحمد أمين بك. وليخدم الجماعات ومشكلاتها الحالية ومسائلها اليومية ومطالبها المادية، وليبتعد عن «الفردية» التي هي أساس كل فن، والتي بغيرها لا يقوم فن؛ وليتجنب «تراجم الأفراد أو ترجمة الكاتب لنفسه أو تحليل الأديب لبعض الشخصيات أو روايات النرام» أو نحو ذلك مما يراه صديق من قبيل النزعات الفردية؛ ولنتذكر الحقيقة القائلة إن «الفنان إذا لم يقل «أنا» فهو ليس بفنان؛ كما أن العالم الذي يقول «أنا» ليس بعالم» لنذكر ذلك مؤقتاً ولننتظر... عسى أن يخرج لنا أثر فيه الفن وفيه منفعة السواد... والله لا يخيب رجاء المصلحين.

نوفير الحكيم

عندنا اضطروا أن يجلبوا حرفين وهما الحرف T والحرف H ، وإذا أرادوا أن ينطقوا بالحرف الذي يشاكل (الشين) في العربية جلبوا كذلك حرفين الحرف S والحرف H . وقس على ما ذكر . ما لم يذكر . إن بلایا الإنكليز في حرف لغتهم لكثيرة .

سأكن أياها الإنكليز ، أتركوا الحروف اللاتينية أو اللاطينية — كما يقول الأقدمون وابن خلدون — وخذروا الحروف العربية كما فعلت الأسبان في وقت من الأوقات . إنهم «خطوا السانهم» الأسباني بالحرف العربي^(١) وما كانوا يخطئون . ولولا سلطان الدين أو الكنيسة ، لولا القسيسون والرهبان ما انفكوا يكتبون به حتى يوم الناس هذا «هـ»

(١) استحدثنا هذا الخبر من العالم الدكتور باول كراوس الأستاذ في جامعة فزاد الأول

مشتق مهذب طيب ، عرف العربية ونقل إلى لغته كتباً منها . والحروف اللاتينية التي تقدمها كاتب القوم العبقري (برنارد شو) وأبدت تلك المجلة تقدمه إياها — إنما هي الحروف العربية غير المهذبة كتبها كاتبوها من الشمال أكثر من حروف اللد فيها — والبركات في تلك الحركات قد خفت وسهل النطق بأحرفها^(٢) — مطيلين الكلمة بتسطير حروفها جميعها — والعربية قد أبدعت حين اخترت — متممين عيون . الفارثين بما صوروا وطولوا . وشتان ما حرفان أحدهما يريح البصر وآخر يرهقه ، فسم الحرف اللاتيني بالحرف المتعب تنصفه . ولقد بالغ إخواننا الترك في الإساءة إلى أنفسهم باستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير وتفضيل الشمال على اليمين . وفي مقالتي (الحرف العربي والإنجليزي) في الرسالة^(٣) الفراء قد نصبت عليهم ضلالهم هذا ، وبينت في تلك المقالة ما بينت . رأيت لموقن اليوم أن القوم سيستيقظون من سנתهم بعد سنين ، وسيندمون وسيرجعون إلى حروف لسانهم عاملين بالقول الحكيم : «الرجوع إلى الحق خير من التماهي في الباطل» . وفي الأتراك — يا أبا العرب — عقلاء حكاء مخلصون ، فلا تيأس من عودتهم

وأما مقترح تصوير العربية بالحروف اللاتينية الذي أشارت إليه مجلة (المستمع العربي) فهو كقترح استعمال تيك العامية — ولكل إقليم عربي عامية بل بلية — والاقتراحان هما من بنات ليل المرء^(٤) في وقت المرض . والأثم العربية قد أجمت على أن تكون في هذه الدنيا في الكائنين لا أن تبعد مع البائدين . وإن وعوة الباطل متلاشية ، ودعوة الحق هي الباقية . وكتاب الدهر كتاب العربية يقول :

«... فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض...»

ما أشق أولئك الإنكليز المساكين بحروف تهجيهم ! إنهم إذا قصدوا التلفظ بالحرف الذي يحاكي (الذال) أو (الزاي)

(١) تراجع مقالة العلامة الأستاذ إسماعيل مظهر في الرسالة (٥٥٨) ص ٢٢٢ . وإني أقول في هذا العام مقبلاً : والمرسلات عرفنا أن (مرسلات الأستاذ مع الرخ) لتعصف بالباطل عصفاً

(٢) الرسالة (٢٢٦) ص (١٣٥٦) السنة (٥)

(٣) بنات ليله : أحلامه

٢٢٠٢٠

الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصري

يقدم

إلى المربين والعلمين والوالدين والمفكرين كتابه الجديد

آراء وآراء

في

التربية والتعليم

وهو خلاصة مطالعات ، ونتيجة مشاهدات ، وزيدة تجارب ، في ترتيب منطقي وأسلوب سهل وصورة مشوقة . والقسم الثالث منه خاص بنظام التعليم في مصر وتقدمه وبحث مشكلة التعليم الإلزامي فيه

يباع في إدارة مجلة الرسالة وفي سائر المطابع الشهيرة وتمنه ثلاثون قرشاً عدا أجرة البريد

معهد التمثيل المصري للأستاذ دريني خشبة

١ - بعد أيام قليلة يُفتتح معهد التمثيل المصري فتتحقق إحدى آمالنا التي لم نياس من الدعوة لها والكتابة فيها ، صادرين في ذلك كله عن إيمان لا يتزعزع بأن التمثيل هو ركن من أقوى الأركان في ثقافة أمة تفهم معنى الثقافة الحقة ، وتدرك روح العصر الجديد ، فيجب أن تتخذ وسائل هذا العصر الجديد بعد أيام قليلة تأخذ مصر الحديثة في تعليم عدد متواضع من أبنائها أصول هذا الفن الرفيع ليأخذوا على عواتقهم حين يخرجون تلك المهمة الخالدة ... مهمة خلق المسرح المصري بكل دعائمه ... من ممثلين ومخرجين ومؤلفين وناقدين ، ومن إلى الممثلين والمخرجين والمؤلفين والناقدين من مهندسين ومصورين وإداريين وعمال وصانعي ملابس وعلماء أزياء ، وكل من يستطيع أن يضع مشكورا لبنة في صرح هذا المسرح الذي نريده مسرحا مستنيرا لا يعرف الشمبذة ويأنف أن يتخذ التهريج وسيلة إلى قلوب الجماهير ، مسرحا يسمو بجمهوره ولا يهوى بهفتنا إلى خضيض الممجية ... نريد أن يكون لنا مسرح بخدم سممتنا ويسرّي خُلُقنا ويمجد أدبنا ويهدي الشباب المصري إلى أرفع السُل ، فيجافي بينهم وبين تلك الرخاوة التي توشك أن تسم رجولتهم ، ويسلك بهم إلى الفضيلة والفكر الحر تلك السبل التي سلكها شباب أوروبا في عصر إلزابيث ولويس الرابع عشر ... ونحن حين نريد هذا نشكر الله الذي هيا المسرح المصري هؤلاء الرجال الثلاثة الذين يجاهدون من أجله لأنهم يفهمون رسائله وأغراضه على وجهها الصحيح ... فأولهم وكيل وزارة عظيم لا يمنحه مركزه الكبير من أن يتزعم حركة الإصلاح المسرحي في مصر ، بل هو يرى في تزعمه هذه الحركة ما يزيد مركزه الكبير رفعة لأنها جهاد شريف في سبيل حركة شريفة لخدمة البلاد وخدمة الفكر واللغة

والأدب ، فهو لا يرى بأسا في أن يحاضر الناس عن طريق الراديو في تاريخ المسرح المصري ، وضرورة خلق الدراما المصرية وجعلها هدفا من أهداف الأدب المصري . وهو يشجع الفرق المصرية التي تعمل لرفعة الفن فيلخص للناس رواياتها ويذكر مؤلفي هذه الروايات ويظهرهم على عبقرياتها المسرحية الجديرة بالمعطف ... وثانيهم مراقب للفنون الجميلة قد أشرب قلبه بحبة هذه الفنون ، فهو يضحي راحتته ويسهر الليالي الطوال ليشرّف بنفسه على تلك الفرقة الناهضة المتواضعة التي نرجو أن تكون نواة طيبة للمسرح المصري الذي نصبو إليه . وثالثهم بطل من أبطال المسرح القوي مولع بفنه ، قد وهبه قلبه ولسانه وبيانه ودمه ، قرأنا له منذ أكثر من ربع قرن شهدناه ممثلا وشهدناه مخرجاً وشهدناه عالما فما شهدنا في أية ناحية من نواحيه ضعفاً يزدى به ، وها هو ذا يعمل مديراً لهذه الفرقة الناهضة المتواضعة فلا يدعي أنه عاهل لمملكة في الخيال ، بل ينادى بأعلى صوته أن مسرحنا يفتقر إلى أشياء كثيرة وأن لا بد من إدراك هذه الأشياء الكثيرة أو إدراك بعضها ليكون لمسرح الحديثة الناهضة مسرحها ولتكون لهذا المسرح شخصيته ... هؤلاء الأبطال الثلاثة هم الجنود الأوفياء الذين تدور حولهم اليوم آمالنا في خلق مسرحنا المصري ، عن طريق هذا المعهد الذي هو آية من آيات الإصلاح التي تنشط اليوم في حياتنا العامة

ولن تمر فرصة لإنشاء هذا المعهد ، أو إعادة إنشائه ، دون أن نسجل هذه الملاحظة الجديرة بالالتفات ، فساد الإعلان عنه يذاع في الصحف حتى تواتت عليه طلبات الالتحاق ، ولم تزل تتوالى حتى زادت على الألف ... وأكثر من نصف هذه الطلبات من حملة الشهادات الراقية ، ومن بينها عدد كبير من حملة الشهادات العالية ... وقد قدمت أكثر من ستين فتاة من أرق الأسر المصرية للالتحاق بالمعهد

٣ - ولكن المعهد بطبيعة الحال لن يتسع لهذا العدد الضخم ، والقائمون بالأسر فيه لا يريدون قبول أكثر من أربعين طالبا وعشرين طالبة ، وهو عدد نستقله على المعهد

اعتباره منشأة ثقافية لا تستغنى عنها نهضتنا ، فهو لا يقل قيمة عن مجمع اللغة ودار الكتب والمتحف الزراعي وإحدى كليات الجامعة ، ولهذا وجب على الدولة أن تسخو عليه وأن تدبر له في ميزانيتها كل ما هو خليف به من مال . . . وخليف بنا ألا نقدر نجاحه بمقدار إقبال الطبقات على شهود رواياته ، فقد فسد مزاج كثير من هذه الطبقات بسبب عوامل شتى تسربت إليها عن طريق السينما وعن طريق التمثيل الوضيع الذي راجت سوقه بينها مع الأسف الشديد . . . ولهذا لم نبدأ من التذكير بأنه لا يحسن النظر إلى المسرح الذي سوف ننشئه باعتباره مورداً اقتصادياً . ورأي أن يكون شهود رواياته في أول أمره بالجان ، ورأي أن تنتقل فرقه في المدارس الثانوية والعالية لتمثل بالجان أمام الطلبة وأمام الأهالي - على أساس الدعوة المحدودة - كي نطب لهذا المزاج السقيم الذي أمرضته السينما الوضيعة والتمثيل الوضيع .

٦ - ويجب أن تواكب الدراسة في المعهد دراسات في مدرسة الفنون الجميلة وفي معهد الموسيقى الشرقي ، فينشأ في مدرسة الفنون الجميلة قسم خاص لتصوير المناظر المسرحية ولهندسة المسرح ، على أن يدرس في هذا القسم علم تاريخ الأزياء والإضاءة المسرحية . . . أما في معهد الموسيقى الشرقية فننشأ مادة خاصة بالموسيقى المسرحية ، على أن يتولى تدريسها الإخصائيون المصريون ممن درسوا الموسيقى الأوربية وثقفوها علماً وعملاً

٧ - هذا . . . ولا ينبغي أن نختم هذه الكلمة دون أن نرجو الحكومة أن تعمل شيئاً لضمان مستقبل رجال المسرح على نحو ما أصلحت به حال المعلمين والمحامين ومستقبلهم ، فالمسرحيون بطبيعة حياتهم الفنية قوم مسرفون يسيطون أيديهم ولا يستطيعون أن يقلوها ، وقل منهم من يستطيع أن يدخر لغيره المظلم الباكي ، قرشاً من يومه الشرق الضاحك ، وتيسير العيش لهذه الطائفة المجاهدة هو تيسير لقيام المسرح المصري على أسس قوية قديمة ، ثم هو واجب على الدولة لا يسرها إلا أن تقوم به في صدق وإخلاص .
ومعنى ختمة

النائب الذي نطمح أن يضطلع بخلق نهضة تمثيلية في مصر وفي الأقطار العربية تكون سبيلاً إلى تجديد ناحية مظلمة في الأدب العربي المفتقر إلى الأدب المسرحي . لهذا نرى لزماً علينا أن نشب على القائمين بأمر المعهد ، وأن نصيح بملء قوتنا أن اتبلوا مائة أو مائتين ليكونوا طلاباً أصليين ، واسمحوا لثلاثمائة أو أربعائة ليكونوا طلاباً منتسبين ، واشترطوا عليهم أن يحضروا نسبة معينة من الحصص لا يصح أن يتقدموا إلى الامتحان النهائي إن لم يحضروها ؛ فإذا احتججتم بضيق المكان وبقلة المدرسين الصالحين فلا ضير أن تستجدوا بحضرتي صاحب المعالي وزير الشؤون ليهيء لكم المكان الفسيح الصالح ، ووزير المعارف ليسر لكم المعلمين الصالحين المقدرين . . . وليذكر صديق الأستاذ مدير المعهد أن له زميلين قديرين تخرجاً مثله في أوروبا ، وأنهما يستطيعان مشاركته في تعليم الفنون المسرحية بأنواعها وبذلك يسهلان عليه دروس الإلقاء وما إليها . . . أما الدروس الأخرى فحسبها المحاضرات التي تتسع لمئات الطلاب ، أصليين ومنتسبين وزائرين

٨ - وليذكر القائمون بأمر المعهد أنهم أملنا الذي نرجو ألا يخيب في خلق المسرح المصري ، وليذكروا أننا لا ننشئ المعهد لإمداد فرقة واحدة أو فرقتين اثنتين بالمثل الصالح والمخرج الصالح والناقد الصالح والمؤلف الصالح وغير هؤلاء من المسرحيين الصالحين . . . كلا ، كلا . . . إننا نريد فرقاً كثيرة إقليمية ومدرسية غير فرقة الماسخة . . . لقد أنشأت معظم البلديات المصرية دوراً فخمة للتمثيل ، فواجبكم أنتم أن تعمروها بالفرق التي تبعث فيها الحياة . . . واذكروا تلك الحرب التي كانت تنشب بين فرق لندن التمثيلية وفرق الأقاليم ، أيها يكون لها الشرف في النهوض بالمسرح الإنجليزي ، وما كانت تبذله مسارح لندن من العون للمسارح الإقليمية مما تناولناه في عشرات المقالات على صفحات هذه المجلة

٩ - ولا بد من التذكير هنا بأن المسرح المصري لا يحسن النظر إليه باعتباره مورداً من مواز الدولة الاقتصادية ، بل يجب

الحرف اللاتيني والعربية

للأستاذ محمود محمد شاكر

—

ربَّ رجلٍ واسع العلم ، بجرِّ لا يزاحم ، وهو على ذلك قصر العقل مسلسل الناية ، وإنما يعرض له ذلك من قبَل جُرْأته على ما ليس له فيه خبرة ، ثم تهوُّره من غير روية ولا تدبر ، ثم إصراره إصرار الكبرياء التي تأتي أن تعقل . وإن أحدنا ليقدِّم على ما يُحسِّن ، وعلى الذي يعلم أنه به مضطلع ، ثم يرى بعد التدبر أنه أسقط من حسابه أشياء ، كان العقل يوجب عليه فيها أن يتثبت ، فإذا هو يعود إلى ما أقدم عليه فينقضه نقض القسْزُل .

ومن آفة العلم في فن من فنونه ، أن يحمل صاحبه على أن ينظر إلى رأيه نظرة الإعجاب المنزهة ، ثم لا يلبث أن يفسده طول التماهى في إعجابه بما يحسن من العلم ، حتى يقذفه إلى اجتلاب الرأي فيما لا يحسن ، ثم لا تزال تفريه عادة الإعجاب بنفسه حتى ينزل ما لا يحسن منزلة ما يحسن ، ثم يُصرَّ ثم يغالى ثم يعتف ثم يستكبر . . . ثم إذا هو عند الناس قصيرُ الرأي والمقل على فضله وعلمه .

فمن ذلك أني قرأت في عدد مجلة « المصور » ١٠١٥ بتاريخ ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٣ حديثاً لصاحب المعالي عبد العزيز فهمي باشا عن « الإسلام والحروف العربية » فرأيتُه يفتتح حديثه بهذه الكلمة ، إذ يقول لسائله :

« إني لا أعني نفسي ألبتة بالاطلاع على ما قد يقال من هذا الهراء الذي هو أهونُ عليَّ من القبار الذي يحس ردائي وحذائي ، فإياك أنت تهتم بما لا أكرث له ؟ »

وعبد العزيز فهمي رجل كنا نعرفه بالجد والحرص والفقهِ وطول الباع في القانون ، وكنا نظنه رجلاً محكم العقل من جميع نواحيه ، لا يتدهور إلى ما ليس له به عهد ، ولا يرى بنفسه في غمرات الرأي إلا على بصيرة وهدى . فلما قال ما قال عن الحروف العربية في الجمع ، ونشرت الصحف قوله ورأيه ، قلنا : عسى أن يستفيق الرجل ويعود إلى سالف ما عهد فيه من الحكمة والمنطق ، وأن يكون ما قال خالصاً لخدمة العربية ، فإن يكن في

في رأيه شيء من الصواب فسيحقق الجدل الذي يدور بينه وبين الناس فضيلة رأيه على الآراء ، وإن يكن أخطأ فهو خليف أن يرجع إلى صواب الناس غير معاند ولا لجوج

كان هذا ظننا فيه ، فلما قرأت فاتحة حديثه التي رويتها قبل ، علمت أن الرجل لن يستفيق ، ولن يعود ، ولن يعقل ما يقول الناس — وما ظنك برجل من رجال القضاء — رجل مارس العقل والفهم وتقلب الرأي ، والتثبت من الحجج المتضاربة الموهمة ، والحرص على أدق الصغائر لا يتخذ عنه عن عدله وإنصافه ؟ ما ظنك برجل هذه صفته يزعم أنه لا يطلع ، بل لا يعنى نفسه بأن يطلع على آراء خصمه ! ثم ما ذا ؟ ثم ترى هذا القاضي العادل ، بعد أن شهد على نفسه وأقر أنه « لا يعنى نفسه ألبتة بالاطلاع على ما قد يقال » ، يصف هذا الذي لم يطلع عليه ولم يقرأه ولم يتم فيه ، بأنه « هراء » ! ؟ فن أين علم ؟ وكيف حكم على شيء لم يقرأه ؟ ثم يزيد فيقول إن هذا الهراء الذي لم يقرأه ، أهون عليه من القبار الذي يحس رداه وحذاه ! ثم يبالغ فيعنف سائله ويتعجب له ويسخر منه ، ويقول له : ما بالاك أنت تهتم بما لا أكرث له ؟

وهذا التسلسل العجيب الذي كنا لا نظنه مما ترضى عنه بعيرة رجل مفكر ، فضلاً عن قاض حريص ، فضلاً عن رأس من رموس القانون ، فضلاً عن نابغة من نوابغ مصر ، قد كان ، ورضى عنه عبد العزيز فهمي باشا ، وجعله حجته ومنطقه في حومة الرأي والجدال . واملُ الغضب هو الذي احتمله حتى أضله عن مواطئ حجته ، ثم تركه يتقرب في كلامه ، حتى اقترب من اللفظ والمنطق ما لا يليق به

ونحن سنرضى أن نكون في القبار الذي يحس رداه الباشا ، وفي القبار الذي يحس حذاه ! ونسأل الله أن يجعله بركة للناس وخيراً ، وأن يسبغ عليه من نعمه ما هو له أهل ، وأن يسدد خطاه حيث ذهب ، فحينما اهتدى الباشا كنا من القبار الذي يهتدى بهدى حذائه ! وسواء علينا بعد ذلك أقرأ هذا الهراء أم لم يقرأه !

نحن نسلم للأستاذ الجليل بما يقول عن صعوبة الحرف العربي المكتوب ، وبأنه يعوق القراءة ، وأنه يجعل العربية أبعد متناولاً عن عامة الناس ، نسلم له بهذا ، ثم ننظر كيف يكون الرأي الذي اعتسفه مظنة للتسهيل ، ومدعاة لنشر العربية !

الاسم الظاهر والضمائر ، في التثنية والجمع أيضاً ، ثم اجمع الأسماء على اختلاف صور الجموع الممكنة فيها ، ثم اقل ذلك بالبادة حين يزداد فيها ما يزداد مثل « أقام وقوم واستقام » ، ومصرّفها في الوجوه التي ذكرناها ، وتبين حركات الإعراب في سياق الكلام ، وضع كل ذلك أمامك مكتوباً بالحرف العربي ، ثم بالحرف اللاتيني ذي الحركات التي تجعل الكلمة مرسومة كمنطوقة . ثم انظر إليهما ، فهل تستطيع ، غير معاند ولا لجوج ، أن تميز بين كلمة وكلمة ، وأن تتبين الشبه بين هذه التقاربات من مادة واحدة في اللغة ؟ ونحن قد جربنا على أسلوب صاحب اللاتينية ، فجربنا ذلك بأنفسنا فاهتدبنا ولا أدركنا ، وصارت الكلمة الواحدة التي لا تخطئها العين في العربية ، ولا تخطئ الشبه بينها وبين صواحيبها ، كلمات لا يُدرى ما هي ! وهذا شيء قاتم على الجس والتجربة والعيان^(١)

فإذا عرف ، من لا يستكبر عناداً ولجاجاً ، أن ذلك مما يُضِلّ ويعمي ، نظر فإذا هو يرى أن أول التضليل في رسم العربية باللاتينية ، أن يضع على القارى تبين اشتقاق اللفظ الذي يقرؤه ، فإذا عُسّر عليه ذلك صار اللفظ عنده بمنزلة المجهول الذي لا نسب له ، وصار فرضاً عليه أن يعمد إلى رسم المادة الواحدة من اللغة في جميع صورها التي تكون في السياق العربي ، ثم عليه أن يحاول تقريب الشبه بالذاكرة الواعية ، ثم عليه أن يحفظ معاني ذلك كله . فإذا كان هذا شأنه في المادة الواحدة فما ظنك باللغة كلها ؟ يومئذ تصبح العربية أجهل مطالعها من اللغة الصينية . نعم ، وإذا ضل عن تبين الاشتقاق والتصريف ، فقد ضل عن العربية كلها ، لأنها لم تُبين إلا عليهما . وهي من هذا الوجه مخالفة لجميع اللغات التي تكتب بالحرف اللاتيني ، لأن الاشتقاق والتصريف يفرضان لها من قبل بناء الكلمة كلها ، حتى تختلف الحركات على كل حرف في كل بناء مشتق أو مصرّف ، ثم يزيد على ذلك ما يدخل على الكلمة من جميع ضروب الحروف العاملة وغير العاملة ، ثم علل الإعراب والبناء والحذف ... إلى آخر ما يعرفه كل مبتدئ في العربية فإذا كان هذا هكذا ، وكان التضليل كائنًا فيه ، وكان هذا

(١) لقد تخيلنا أن نرسم الكلام العربي في هذه المادة ، ووجوه التصريف والواحق ، لأنها بسيرة على التدرى فهو يستطيع أن يستخرجها جيداً ويرسمها لنفسه وينظر أي عثرة يرى !

وكيف يكون هو الذي يخرج الحرف العربي الغامض إلى البيان والوضوح ، فلا يكون مضلاً ولا معوقاً ، فإنه زعم أن : « ليس لدى المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربية وقت فائض يصرفونه في حل الطلام » ! هذا هو محصول رأيه

فما هذا التضليل الذي زعم ؟ لقد قال من قبل إن الذي دفعه إلى هذا الرأي هو تيسير الكتابة العربية ، « لأن حروف هذه اللغة ليس بينها حروف حركات ! وكثيراً ما يحدث فيها التصحيف والتحريف لهذا النقص . فهما تعلمها الإنسان فلا بد أن يخطئ في قراءتها ، وقد عالج الأقدمون هذا الشكل الكبير بوضع الشكل ، ولكن هذا الشكل قد أفلس ، بل كان مجلبة لزيادة التحريف والتصحيف »

ودليل الاضطراب لم يزل يظهر في هذا المنطق كما ظهر في حديث محرر المصور ، وهو سؤال وجواب لا عنت فيهما ، فأول الوهن وأول الفساد في هذا المنطق أننا رأينا في اقتراحه قد أبقى الحروف المعجمة (المنقوطة) ، وقصر ما ادعاه من التضليل والمصر على (حروف الحركات) . وهذا عجب . فالإنجام (النقط) هو في التصحيف والتحريف بمنزلة الشكل أو أقل منه قليلاً ، فكان لزاماً عليه أن يبحث مسألة الحروف المعجمة ، ويخلص العربية منها ليدر أعنها التصحيف والتحريف ! ولكنه لم يفعل ، ولم ؟ لا تدري !

ومع ذلك ، فلنفرض أننا أدخلنا ما سماه (حروف الحركات) في كلام عربي مكتوب باللاتينية ، ثم لنفرض بعد ذلك أنه قد أجدى ونقى التضليل من هذا الوجه . ولكن يبقى أن ننظر : أينبقى التضليل البتة ، أم هناك نوع آخر من التضليل يجره هذا العمل ؟ وأي التضليلين أهون شأنًا ؟ فإذا تساوى بطلت الحاجة المرجحة ، وإذا غلب أحدهما كان الانصراف إلى أخفهما ضرراً هو الوجه الذي لا معدل عنه . أليس هذا هو منطق الناس يا صاحب الحروف اللاتينية ، أم تراه ينيى أن نسير على هدى منطقك ؟

نفذ إليك مادة من العربية مثل « قام » ، ثم اجملها فعلاً ، ماضياً ومضارعاً وأمرأً ، وألحق به ما يلحقه من الضمائر ، وأدخل عليه ما يدخله من قبل أوله وآخره مثل « فليقمهن » وفي التثنية والجمع ، والخطاب والغيبة ، ثم أخرج جميع مشتقاته من الأسماء ، وألحق بها ما يلحقها ، وضمها في حالة الإضافة إلى

التفصيل واقعاً في أصول الاشتقاق والتصريف ، الذي يردّ القارىء إلى أصل المادة اللغوية . وإذا كان الضلال عن أصل المادة ضلالاً عن معناها ، فأى التسييلين أغمض وأضل : سبيل 'عسر القراءة' لعدم (حروف الحركات) ، أم سبيل امتناع الفهم لامتناع الاهتمام إلى أصل الاشتقاق ؟ ونحن لا نشك في أن كل رجل ذى بصيرة حسن النطق ، سيجد في هذا وحده من المشقة والعسر ، ما لا يدع اختياراً في الاعتراف بالضلال المطبق الذي تجلبه الكتابة بالحرف اللاتينى ، وأن التصحيف والتجريف الذى يدخل الحرف العربى أهون بكثير من الاختلال والفساد والمضلة والعبث التى يجربها الحرف اللاتينى

وإذن فغاية الشروع الذى اتجمله ، أن ييسر نطق الكلمة المكتوبة في حال أفرادها ، غير ناظر إلى سهولة الاهتمام إلى الاشتقاق الذى هو أصل العربية ، وأراد أن يأمن الخطأ في الإعراب ، والتجريف في ضبط الكلمة ، فذهب كل شيء ، ولم ينظر ماذا يجلب مشروعه من التضليل والتشويه والتعسير والاستحالة ، والغموض الأعمى الذى لا يهدى إلى شيء في هذه اللغة العربية ! وهذا وحده عجب أى عجب

هذه واحدة ، ثم زعم الباشا أن الحروف العربية تعوق القراءة ، فهما نملها الإنسان فلا بد أن يخطئ . ! وأن هذا الشكل قد عالجَه الأقدمون بوضع الشكل ، ولكن هذا الشكل قد أفلس ، بل كان مجلبة لزيادة التجريف والتصحيف !

هما علتان ، ثم علتان ملفقتان قد غلغل فيهما البطلان ، ونخرتهما المغالطة في الصميم وفي النطق . ونحن لن نناقش اليوم هاتين علتين إلا من وجه واحد يظهر به فسادها ، أما سائر الوجوه فنضعها حتى يحين وقتها ومكانها من الكلام . فالخطأ عندنا لا يعود إلى صعوبة الحرف المكتوب ، وإنما يعود إلى القارىء الخطيئ نفسه ، وهذا هو وضع القضية عندنا : إذا كان التكلم حين يتكلم يستطيع أن يسوق كلامه على العربية الصحيحة غير خطيئ ، فحال أن يخطئ فيها عند القراءة مهما اختلف الخط عليه سهولة وصعوبة ، لأن النطق سابق للقراءة ، فالذى لا يخطئ وهو يتكلم (أى كأنه يقرأ من حرف غير مكتوب) ، لا يتأتى له أن يخطئ وهو يقرأ حرفاً مكتوباً ظاهراً بجزء يبيض الدلالات . وإذا عولج بعض العسر بوضع الشكل على الحروف ، فالخطأ عندئذ أشد استحالة لوجود دلالات

صريحة لا تقل في إفصاحها وبيانها عن حروف الحركات التى أرادها صاحب هذا المشروع اللاتينى ، ومن ثم فهي ليست مجلبة لزيادة التصحيف والتجريف كما زعم . أما قوله ، في خلال ذلك ، إن الشكل قد أفلس ، فهذا حكم باطل في قضية باطلة بطبيعتها ، وما دامت القضية في أصلها لا تصح على الوضع الذى لفقته ، فالحكم نفسه لم يدخل إلا زيادة في التلفيق . لقد نسى صاحب الحروف اللاتينية أن الإعراب في العربية شيء يختلف اختلافاً كبيراً عن سائر اللغات المكتوبة بالحروف اللاتينية ، وأن الخطأ فيه لن يكون من قبل الكتابة سهلة أو صعبة ، بل هو راجع إلى التكلم أو القارىء من قبل الضعف والقوة والعلم والجهل ليس غير

وأما نائفة الأتافى ، كما يقولون ، فهو زعمه أن « ليس لدى المسلمين ، وغيرهم من أهل البلاد العربية ، وقت فائض بصرفونه في حل الطلاسم » ! فأى طلاسم ؟ أى الطلاسم التى تدخل على كل حرف من الحروف في المادة الواحدة ، ألواناً من الحركات تكتب بين كل حرف وحرف ، وفي أواخر كل كلمة ، وتقف فواصل متباينات بين حروف مادة واحدة من لغة بنيت على الاشتقاق وعلى الاختصار ، وجاء فيها الجوع المختلفة ، والصفات والأبنية ذوات المعانى ، والبناء للمجهول ، وأحكام المعتل في التصريف ، واختلاف المصادر وأسماء الزمان والآلات ، والترخيم والنسبة ، والإضافة والتقاء الساكنين ، وأحكام الإعلال والإبدال والإدغام ، إلى آخر هذا كله ، مما يفتقر الأبنية والأطراف والأوساط ، هذا إلى كثير من أحكام النحو الأخرى التى تفزع من يتقربها إذا هو أراد جدال صاحب الحرف اللاتينى ! أهذه هي الطلاسم أم تلك ؟ وأيهما أفسد لوقت المسلمين وغيرهم من أهل البلاد العربية ؟ بل أيهما أضرعى وأشنع فتكاً وشراسة ؟ بل أيهما الذى يقول العقل لا الوقت وحده !

ولكنها فتنة ! فتنة اغتر بها شيخ صالح ، فاستغلها من لا يرى للعربية حقاً ولا حرمة ، ولولا بعض حسن الظن إقلنا : لا تأمنوا قوماً أشب صبيهم بين القوايل بالمدواة ينشع فضلت عداوتهم ، أحلامهم وأبت ضباب صدورهم لا تنزع إن الذين تروهم إخوانكم يشقى غليل صدورهم أن تصرعوا وأى مصرع يا صاحب المعالى ! علمك الله الخير وهذاك إليه وسددك وحفظك .

محمد محمد شاكر

كتاب نفيس

آراء وأحاديث
في التربية والتعليم

المؤلف: ساطع الحصري

بقلم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

—

مؤلف هذا الكتاب ليس غريباً عن أسرة « الرسالة » ، ولا غريباً عن رجال التفكير والثقافة في الشرق العربي عامة ، أو في مصر خاصة ، وهو نفسه لا يمدُّ نفسه غريباً على مصر إذا عالج مسألة من مسائل الفكر أو تناول قضية من قضايا التعليم فيها . فإن نظراته العنيفة في التربية والتعليم لا تضيق في حدود وطن واحد ، ولا تتضاءل في مساحة بقعة واحدة ؛ ولكنها تمتد إلى ما وراء التخوم السياسية فتتسع لسورية والعراق ومصر وغيرها من البلاد العربية

وبهذا الاعتبار يمكن أن يفسر اهتمامه البالغ بأمور التربية والتعليم في مصر ، ويدفع هو عن نفسه ما قد يرى به من الكلام في أمور لا تتصل بوطنه ؛ فيقول في عزة عربية نسجلها له مع الفخر : (وأرجو أن لا يمتدني أحد متطفلاً على مصر بهذه الملاحظات ؛ فإنني عربي صميم ، أدين بدين العروبة بكل جوانحي ، وأهم بمصر بقدر ما أهم بسورية والعراق) . وهذا دفاع بليغ يقطع الطريق على أمثال من يقولون :

إنما نسكر من أموالنا فسلوا الشرطي ما هذا الغضب ! لأن غضبة الأستاذ الجليل ساطع الحصري ليست غضبة « الشرطي » ولكنها غضبة المُضري التي يجب أن يحسب لها حساب ...

ولهذا لا نظن أحداً من الناس في مصر أو في غير مصر يضيق صدره بآراء ساطع الحصري في التربية والتعليم ، لأنه مخلص في إبدائها ، ولأنه عربي قبل أن يكون مصرياً ، والعروبة

تقتضيه حقوقاً كثيرة ، وخاصة في هذه الأوقات التي نسمع فيها كثيراً عن الوحدة والاتحاد والتعاون واليقظة العربية والوعي القومي . ولأنه هو نفسه قد أبان في كتابه نوازع اهتمامه بمصر (لأنها أصبحت القدوة المؤثرة على العالم العربي بأكمله)

لا نظن أن أحداً من المفكرين والمثقفين والريين في مصر يغضب لأن مفكراً عراقياً وسورياً نشر كتاباً نفيساً في التربية وفيه مقالات حول نظام التعليم في مصر . لأننا نرى الخبراء يستقدمون إلى بلادنا ، وتفدق عليهم الأموال ، وتفتح لهم الأبواب ولكن ساطع الحصري زار مدارس مصر - قادمًا لا مستقداً - في سنتي ١٩٢١ ، ١٩٣٦ ، وكشفت له الزيارات عن أمور رأى من الإخلاص للوطن العربي الأول أن لا يكتفها ، ورأى من الخير أن ينشرها

ونحن نرى أن بعض « الزوار » قد ينشرون كلاماً له خبيء أو يذيعون آراء لها خواف . ولكن الأستاذ ساطع واضح المقصد بغير الغاية حسن النية . ونرجو أن تكون تلك حاله التي ينطق بها لسان المقال

ليس هذا الكتاب كتاباً « فنياً » في أصول التدريس وطرق التعليم ، وليس كتاباً « مدرسياً » في « الدرس » وأجزائه « والقدمة » وشروطها . « وملخص السيرة » « ووسائل الإيضاح » وما إليها من الموضوعات الجافة التي يحفظها (المعلم الجديد) ويضحك منها المعلم المتمرس أو يتقسم لها . ولو كان كتاباً كذلك ما استحق أن نطيل الوقوف عنده ، وأن نأمر منعه على القراء عرضاً يحملهم على الاطلاع عليه والظفر به ، لأن فيه نظرات في التربية والتعليم جميعاً المؤلف من هنا ومن هناك . ولا شك أن هذه النظرات وليدة تجارب بلاها المؤلف بنفسه ، وهدهد إليها اطلاع وسيع ، وبحث عميق ، ومتابعة لكل جديد من الرأي في آفاق التربية والتعليم

والقسم الأول من الكتاب فيه مشاهدات وملاحظات في التربية والتعليم . وهذا القسم يجمع إلى صحة الفكرة التربوية طرافة الأسلوب وحسن العرض ، والخلوص من المثال أو الشاهدة

إلى القاعدة التي يقرها . ولهذا لا تحس وأنت تقرأه الجفاف الذي يصادفه من يقرأ كتب التربية البحت ، و«الطفل الماكس» «وإثبات الذات» «والتربية بالثقة» «والحرية» وغيرها نصيب في هذا القسم من الكتاب

أما القسم الثاني فهو محاضرات ومقالات في التربية والتعليم أتت بعضها في نادى التضامن وبعضها في نادى المعلمين ببغداد . ويمتاز هذا القسم من سابقه بالدراسة الفنية وعرض النظريات التربوية عرض المربى الفني لا عرض المشاهد المتقل كما في القسم الأول

وفي هذا القسم فصل ممتع عن التربية الاجتماعية . وقد نجح المؤلف في محاولة ردّ تربيتنا الاجتماعية أو بالأحرى مشاكلنا الاجتماعية في الشرق العربى إلى تغلب الأثرة Egoisme على الإيثار Altruisme . وإلى أننا لم نعود التفكير في غيرنا تفكيراً اجتماعياً ، كما أننا لم نعود العمل مع غيرنا عملاً مشتركاً Collectif

وهذا كله كلام جميل ، وفيه كثير من الحق وكثير من الصدق ، فإن ذلك كله ينقصنا . ولكن ينقصنا شيء آخر لم يشر إليه الأستاذ ساطع ؛ ولكن أوصحه البروفسور كامبانياك الأستاذ بجامعة ليفربول في كتابه النفيس :

Education in Its Relation to the Common Purposes of Humanity.

المطبوع في إنجلترا سنة ١٩٢٥

يقول هذا الأستاذ الإنجليزي في كتابه ص ٣٣ (إذا شاء المواطن أن يتمتع بميزات ، فواجب عليه أن يقبل تلك المزايا بشروط . فما هي الشروط التي يمكن أن يتمتع بها الرجل بمزايا الجماعة ؟ إنها شروط يمكن التعبير عنها في سهولة ويسر في جملة واحدة : يجب أن يتعلم الرجل أن يفعل ما يطلب منه ، يجب أن يطيع قواعد الجماعة إذا أراد أن يحتفظ بفضولته فيها)

وهذا التوضيح يفسر لنا كثيراً مما يحدث في مجتمعاتنا ومجامعنا الشرقية . فكثيرون منا لا يفعلون ما نطلبه قواعد الجماعة ومواضعاتها منهم ؛ كالذين أشار إليهم الأستاذ ساطع في مقصودات أحد المسارح ببغداد حين علا صوتهم وضوضاؤهم ؛ فلما نهبهم إلى خطئهم أجابه أحدهم : إننا أحرار ، لا حق لأحد أن يتدخل في أمرنا ...

لقد ردّ الأستاذ الحصري هذا السلوك الشائن إلى أننا لم نعود العمل مع غيرنا عملاً « مشتركاً » وذلك صحيح . وصحيح كذلك أن زرده إلى طبيعة المصيان والتمرد على قواعد الجماعة كما فسر الأستاذ كامبانياك

أما الفصل الذي كتبه الأستاذ الحصري عن « تيارات التربية والتعليم » فهو فصل معنى به مسهور عليه . وهو يشهد باطلاع المؤلف على اتجاهات التربية الحديثة ومراميها ، والعوامل التي أثرت فيها ؛ والمراحل التي مرت بها . وهنا تظهر طريقة المؤلف في حسن العرض العلمى عرضاً متسلسلاً يدل على الفكر المتسق ... ولقد أشار في خلال هذا الفصل إلى وجوب تقوية علاقة الطلاب « بالطبيعة » التي طفت عليها حياة « المدن » . إلا أننا نأخذ على الأستاذ ساطع إيجاز الإشارة إلى هذا الموضوع الهام ، وكان المقام يتطلب منه إطالة واهتماماً أكثر . ولليوفسور كامبانياك في كتابه المشار إليه سابقاً فضل رائع « عنوانه المودة إلى الطبيعة »

كما أن الأستاذ « نيومان » عالِم هذا الموضوع معالجة علمية في كتابه القيم « فكرة الجامعة » : Idea of a University ص ١٣٣ ، ١٤٣

ومن عبارات كامبانياك الرائعة في ذلك الفصل قوله في صفحة ٩٥ (يمكننا أن نلجأ إلى عالم الطبيعة مرات ومرات ، لأنماشنا وتطهيرنا وتقويتنا) وقوله : (أن مشروعاً تربيبياً يوجه عقولنا وحواسنا إلى قوى الطبيعة ومختلف مجالها ، هو مشروع حكيم الخطة)

بقى أن في الكتاب نسباً يستعملها الأستاذ ساطع (كالفرديانية) (والأنوية) نسبة إلى أنا. (والقبمدرسية) نسبة إلى « قبل مدرسي » وهي طريقة في هذا الكتاب وأطراف منها المصادر التي يستعملها. وهي صحيحة ولكنها لا تستعمل عندنا في مصر « كالتدبير » « والترقيع » « والانتياض » بدلاً من المد والترقية والقياس التي نستعملها هنا

وبعد فإن كتاب الأدب العربي الأستاذ ساطع المصري يعد محاولة ناجحة في عرض الاتجاهات الترببية عرضاً يرايح إليه الأدب، قبل أن يرايح إليه الربى. وهو من هذه الناحية كان خليقاً بأن يقرأه الأدباء والمفكرون والمثقفون قبل أن يقرأه الربون والمعلمون

وكفاه قيمة أنه - فيما نعلم - أول كتاب عربي غير مصري يتناول مسائل التربية والتعليم في مصر بصراحة وإخلاص يستحقان الشكر والإعجاب.

محمد عبد الفتاح

اللغة والدين والتقاليد

هي الرسالة التي أجازتها لجنة المباشرة الأدبية الرسمية للوثيقة من أصحاب المعالي والسعادة أحمد لطفى السيد باشا وجعفر ولى باشا وبهى الدين بركات باشا ومنطقى عبد الرازق باشا والدكتور طه حسين بك

وهذه الرسالة تشرح بالتفصيل ما يجب أن نراعيه في الحياة الدينية والأدبية والاجتماعية

تطلب من المالكين الشهورة ، ومن النسخة عشرة قروش

أما الفصل الذى عنوانه « تعليم التاريخ » فلنا عليه استدراك ، فالأستاذ ساطع يحتم أن نعيد النظر في تاريخنا العربى بنزعة تربوية قومية ، وينادى بأن دروس التاريخ يجب أن ترمى إلى « التربية القومية » قبل كل شئ . وتلك دعوة طيبة تقابل من الأستاذ المصرى بالقبول الحسن من كل البلاد العربية التى تنشأ الوحدة في عالم أصبحت فيه أمم مختلفة النزعات واللغات ، فكيف بأمم وحدت بينها اللغة والجنس والمادات ؟ إلا أن الهدف من تعليم التاريخ ليس تنمية القومية (قبل كل شئ) . فمن الغبن أن نغمط الأهداف الأخرى ونهجمها قدرها . فقد ينفعنا تعليم التاريخ على وجه صحيح في إدراك صورة واضحة لمعنى « الخير » للجماعة وأعضائها ؛ وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربى على وجه صحيح في إيقاظنا من سبات عميق طال عليه الأمد ... وقد ينفعنا تعليم التاريخ العربى على وجه صحيح في تجريد الدين من كل ما علق به من أوشاب القرون وغبار السنين ...

وقد ينفعنا التاريخ في العمل على تحسين حالتنا الصحية التى أصبحت مريضاً عضالاً وداء قاتلاً . فلو اعتنى في مدارسنا بتدريس تاريخ الأوبئة والحيات والأمراض ، ولو اعتنى بدراسة تاريخ ما اتخذ من وسائل لمقاومة المرض وتحسين الصحة وإنشاء البلديات وكشف الجراثيم ، لاجتمع لأبنائنا ثقافة صحيحة تقوم إلى تربيتهم القومية

وقد كان ذلك من أغراض تعليم التاريخ في إنجلترا بناء على الرسالة التى نشرتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٣٤ بعنوان : (مطبعة الحكومة الإنجليزية لندن - ص ٦٤)

أما الفصل الممتع الذى كتبه الأستاذ ساطع حول تعليم اللاتينية واليونانية فهو يستحق عليه التهنئة . فقد عرض القضية عرضاً لا يدع فيها مقالاً لقائل . وهو هنا يتكلم دائماً والدليل بين يديه والحجة بيمينه ؛ فيجملك على الاقتناع بكلامه وقد أثار في نفسى شهوة إلى قراءة « التحقيق البرلماني الفرنسى » الذى يذكره أستاذنا وصديقنا توحيد السلحدار بك

القرآن الكريم في كتاب انثر الفنى للأستاذ محمد أسد الغمراوي

— — —

نمر

يشكك الناس فيهم . ولا بأس من أن نتخذ له هذه المرة فننظر
فيما أتى

يقول إننا نحاربه لا الدين ، ولكن ليكون لاسمنا ذكر مع
اسم الكريم . ولو وجد الدكتور شيئاً غير هذا يقوله لقاله ،
ولكنه نظر فوجد أننا لا نتخذ الأدب صناعة فيأتيها من ناحية
النافسة ، ولا يجوز عنده أن تكون محاربتنا له لوجه الله ،
فلم يبق إلا أن يقول أننا نلتهم الشهرة عن طريق التعرض له
والطعن فيه

إن كان ذلك كذلك ، فلماذا تركنا الدكتور كل هذه
السنين بيدى ويعد في الأخلاق وغير الأخلاق مما يتصل بالدين
اتصالاً وثيقاً أو غير وثيق ، من غير أن نتعرض له إلا مرتين
بفصلهما خمس سنين : الأولى حين ختم كلمة له في نعيم الجنة
بذلك الدعاء المأجنى : « اشغلى عنك يا رباه بأطياب نعيم الجنة ،
فإن نظرى لا يقوى على نور وجهك الوهاج » . والثانية حين
كتب مقاله : « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق » الذى
أنكره ابتداء ، حين حوسب على بعض ما فيه ، ثم أقر به لما
أيقن أن لن يصدقه أحد في الإنكار ، كالرجل الذى يتبرأ من
ولده الجانى وينكره ثم يستأخفه إذا وجد عار الإنكار أكبر من
عار الإقرار ... مناسبتان اثنتان بينهما خمس سنوات لم نتعرض
للدكتور إلا فيهما في عمر الدكتور المملوء بما يؤاخذ عليه
في الأدب والأخلاق والدين . فهل لم يكن بنا حاجة إلى الشهرة
طوال تلك الأعوام لنتلمس التحليل في جوها على جناحه المتين ؟
وقد وقع الرجل على حيلة أخذها عن صديقه الشيطان^(١)
هى أن يسمى المسميات ضد أسماؤها ليدخل على بعض النفوس
عن طريق الإيجاء . فستر الإنسان جسمه بالثياب رياء واعوجاج
في الضمير^(٢) ؛ والدعوة إلى تعريقه دعوة إلى الحياة^(٣) ؛
واحتضان الفتاة للفتى هو مثال الفرح النبيل^(٤) ؛ وهجوم الفتاة
على الفتى طاعة لغريزة كريمة^(٥) ؛ وانتهاب الجلال هو في ذاته
شكران لخواهب الجلال^(٦) ؛ والشيطان مخلوق شريف^(٧) ؛

شكنا الدكتور زكى مبارك العدد ٥٥٧ من الرسالة من
أنى كتبت فيه كلمة مؤذبة سبها كلمات مؤذيات ، وزعم أنى
أبحث عن فرصة جديدة تؤيد غرضى باتهامه في إسلامه ، وأن
الباعث على محاربتى إياه ليس هو الدين ، ولكن غرامى بأن
يقرن اسمى الدكتور زكى .

وتأذى الدكتور زكى مبارك بما كتبت ليس لى فيه من
فضل ، فالفضل - أو الذنب - فيه راجع كله إلى الدكتور
الفضال . فهو الذى لا يفتأ يتعرض للدين بما لا يمكن أن يفهمه
عليه عقل ولا دين ، وبما يخالف الكتاب والسنة والإجماع عند
المسلمين . يتعرض للجزئية من الجزئيات يجوز فيها الخلاف ،
ولكن للأصول التى يقوم الدين بقيامها ، وينهدم بانهدامها ،
كأصل إعجاز القرآن ، وأن القرآن كتاب الله لا كتاب محمد
ابن عبد الله

والخصومة التى بيننا ليس منشؤها ما يعتقد الدكتور زكى
مبارك ، ولكن ما يعلن الدكتور ويدعو إليه . فاعتقاده ودينه
أمر بينه وبين ربه ، أما ما يعلن يكتب فأمر بينه وبين الناس .
هو حر فيما يرى ويفكر وفيما يعتقد . ما اقتصر ذلك على ذات نفسه ،
أو ظل سراً بينه وبين خلصائه . لكنه يفقد تلك الحرية فى
اللاحظة التى يحاول فيها أن يتخذ من الأدب وسيلة لبث آرائه
ومعتقداته بين الناس . إنه فى تلك اللحظة يصطدم بما يعتقد
الناس ، إذا كان ما يعتقد يخالف ما يعتقدون ، خصوماً إذا كان
ما يعتقدونه هو الحق وما يدعو إليه هو الباطل . أفيمجب
الدكتور عندئذ أن يرتد عليه الاصطدام فيتأذى به كما آذى به
الناس ؟ أم هو يظن أن الحرية له فى الهجوم ، وأن ليس لغيره
حرية فى الدفاع ؟

وللدكتور فى الخصام حيل كتلك التى تكون فى القتال ،
منها أن يلقى إلى خصومه أقوالاً يرجو أن يشغلهم بها وأن

(١) العدد ٢٣٠ من الرسالة صفحة ١٩٣٤

(٢) و (٣) العدد ٥٢٩ من الرسالة صفحة ٦٦٨

(٤) و (٥) العدد ٤٤٦ من الرسالة صفحة ٦٢

(٦) العدد ٤٥٥ من الرسالة صفحة ٣٤٦

(٧) العدد ٢٥٧ من الرسالة صفحة ٩٤٤

لقراءته في هذا الكلام قبلة ملفوفة تكفي لنسف أى إيمان
دعك مما في كلامه هذا من مثل « جميل » و « رسول »
(وأنبياء) و « قطع السنة التريدين » وتأمل ما وراء ذلك تجده
يريد أن يدخل في نفسك أن ترك الأنبياء أموالهم كلها صدقة
شئ فعلوه من عند أنفسهم لا بأمر ربهم ، وأنهم بذلك خالفوا
العدل ووقعوا في أقبح الظلم ، ظلم الأبناء . ومن أجل ماذا ؟
من أجل السلامة من أذى السفهاء وقطع السنة التريدين ، أى
من خوف الناس ! وماذا يبقى من مبدأ عصمة الأنبياء بعد هذا ؟
لا شئ . عقد من يقبل من زكي مبارك هذا الكلام ، وعلى دينه
المعفاء !

وإذا رجعت إلى حديث الرسول صلوات الله عليه - وزكى
مبارك حرف المعنى ولم يحرف اللفظ - تجده يحتمى على الحجة
المبطلية لكل ما ذهب زكى مبارك إليه ، وهى قول الرسول
(نحن معاشر الأنبياء لا نورث) بصيغة التعميم لا بصيغة
التخصيص . فلو صدق ذلك على بعض الأنبياء دون بعض
لما كان من سنن النبوة ، ولكن من رأى ذلك البعض ، ولجاز
ولو من يفيد ما زعمه زكى مبارك . أما وهو صادق على الأنبياء
أجمعين فلا بد أن يكونوا فعلوه عن أمر الله لا أمر أنفسهم ،
لا طراد فيهم على اختلاف الأزمان - والاطراد على اختلاف
الزمن هو طابع الفطرة التى هي دين الله - ثم لاستحالة معرفة
الرسول صلوات الله عليه أن الأنبياء أجمعين كانوا يفعلون ذلك
إلا بإخبار وتوقيف من الله

لكن زكى مبارك لا يلتفت إلى مثل هذه الدلالات في كلام
النبوة ، لأنه مشغول بترويج ما له من مذهب ورأى ؛ يتلطف
للدخول به على الناس حيناً ، وبتعجم به عليهم حيناً ؛ تارة يلج
وتارة يصرح ، وطوراً يجمع لهم الأصداد ويرميهم بالمتناقضات
تلهمياً وتشفيكاً ، كأن بينه وبين الناس تأراً لا يشئ نفسه منه
إلا أن يبجل منهم الفسكر^(١) ويترزل منهم العقيدة ليكون أدبه
قوة تدمل الخصوم وترزّل الزمان^(٢)

محمد أحمد الغماري

والأديب الحق يستبيح في عتاب الأقدار ما لا يباح^(١) ؛
وبعض الكفر إيمان ولكن أكثر الناس لا يفقهون^(٢) ؛
إلى آخر ما هنالك

ولست في شئ مما كتبت أو أكتب عن هذا الرجل
متجنياً عليه أو مبالئاً ، فتلك المعاني التى نسبتها إليه آنفاً ليست
من عندي ولكن من عنده . هى بمض عباراته تشهد عليه ،
وبعض بضاعته ترد إليه

وحيلة أخرى لهذا الرجل أن يلقى إليك المعنى الذى يعرف
أنك تأباه مقروناً بمعنى يعرف أنك ترضاه ليسهل عليك بهذا
قبول ذلك ، أو على الأقل ليوقفك موقف المرتاب . فتراه مثلاً
يقول لك : « انتفع الصوفية بسماحة الإسلام ، وهو دين يأبى
أن يكون بين المسلم وربه وسيط ، فقرروا أنهم أرفع من الأنبياء .
وهذا كفر بظاهر القول ، ولكنه في الجوهر غاية الإيمان »^(٣) !
فانظر كيف رتب على المعنى الذى يعرف أنك ترضاه معنى يعرف
أنه لو ألقاه إليك مجرداً لا يثبت عليه ، ولنبذت إليه . والمعنى الذى
ألقاه معنى ذو نتوء كراؤس إبليس . ظاهره أن الصوفية يضعون
أنفسهم فوق مرتبة النبوة ، لأنهم أعرف بالله وأرعى له من الأنبياء ،
وباطنه أن ليس بهم ولا بك إذا ارتقيت مثلهم إلى الأنبياء
حاجة ، وإلا كان بينك وبين الله وسطاء ، والإسلام يأبى أن
يكون بين المسلم وربه وسيط ؛ فتلك هى فى رأى زكى مبارك
سماحة الإسلام وبها انتفع الصوفية ! والرجل يكذب في الحالين
على الصوفية وعلى الإسلام . فلا الإسلام يهدم نفسه بسماحة
حقاء كالتي نسبها إليه زكى مبارك ، ولا الصوفية بلغ بهم الغرور
أن يروا أنفسهم فوق الأنبياء

ومثل آخر من نفس الباب قوله^(٤) : (وفى طلب السلامة
من أذى السفهاء . قال الرسول : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث
ما تركناه صدقة » ... والعدل يوجب أن يكون ما يترك الأنبياء
ميراثاً حلالاً لا بنائهم ، ولكن الحرص على قطع السنة التريدين
هو الذى أوجب أن يحرم الأنبياء أبناءهم من ذلك الميراث .
وذلك ظلم جميل !) هكذا يقول زكى مبارك ، وهكذا يقدم

(١) و (٢) العدد ٣٥٥ من الرسالة صفحة ٧١٥

(٣) العدد ٤٩٣ من الرسالة صفحة ١١٣٨

(٤) العدد ٤٠٦ من الرسالة صفحة ٦٢٨

(١) العدد ٣٨٢ صفحة ١٦٢١

(٢) العدد ٤٩٨ ٤٠٠

من نراء القلب

الإناء...

للأستاذ إياس أبو شبكة

أصدر الشاعر اللبناني د. ربيع الأستاذ إياس أبو شبكة ديواناً لطيف الحجم سماه « القلب » وهو - ما عدا القصيدة الافتتاحية - مجموع من الشعر الثنائي الرقيق؛ يقرأه الخلق في ساعة إذا شاء ، سكن الرجل ذا القلب الشاعر لا يستطيع أن يفرغ منه ولو كان يتفصل عنه ؛ فهو في كل بيت من أبياته لا يفك بين ذكرين معاودة ، أو أمل يراوده ، أو شعور لتدب يحس ابتداء فيه ، أو وجد أليم يجد أبلغ العبارة عنه . وكان الأشبه لنا قلنا أن نسمعك لنا من الحان هذا النزل المشبوب ، لهذا الشاعر الموهوب ، ولكننا آثرنا أن نسمعك القصيدة الأولى منه ، لأنها أبلغ ما يصور حال الأدب الرقيق ، في هذا الزمن الرقيق

عصرت قوادي في إناء من الهوى
وأدنيته من مرششف الفقراء
فقالوا : « خور ما تبرد غلالة »
فتمت : « واهلاً أكبد الشعراء »
أينكر حتى البؤس ما فيك من غنى
وأنى غداء أنت للبؤساء ؟

وذوبت قلبي في إناء من الهوى
وأدنيته من مرششف الرؤساء
وقلت لهم : « هذا هو العدل فاشربوا
للكم تصنون للضعفاء ! »
فقالوا جميعاً عن إنائي وغمموا :
« إنائك محظور على الزعماء »

وذوبت قلبي في إناء من الهوى
وأدنيته من مرششف السجاء
وقلت لهم : « هذا عزاء قلوبكم
فلأبرياء التاعسين دمانى »
فقالوا : « دمان ما تحلل قيودنا

فوات قوائناً لغير قضاء

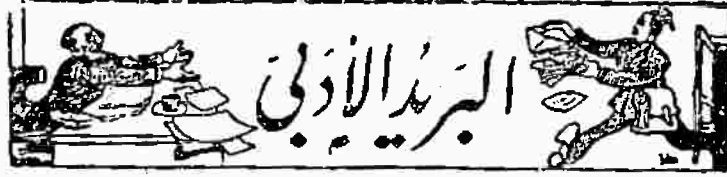
وذوبت قلبي في إناء من الهوى
وأدنيته من مرششف الحكماء
وقلت لهم : « هذا هو النور فاشربوا
فأراؤكم في حاجة لضياء »
فقالوا ، وقد هزوا الرؤوس شماتة :
« ضياؤك هذا خدعة الجلاء »

وذوبت قلبي في إناء من الهوى
وأدنيته من مرششف الأمراء
وقلت لهم : « هذا هو النبل فاشربوا
وطوفوا بأقداحي على للنبلاء »
فقالوا : « أتحمير لظنراء جَدْنَا
وما تنسل الأصلاب من شرفاء ؟ »

وذوبت قلبي في إناء من الهوى
وأدنيته من مرششف الشعراء
وقلت لهم : « هذا هو الحب فاشربوا
فأزايؤكم مرهونة لقضاء
إذا الحب لم يضم لهيب قلوبكم
بشعم ولو جتم بألف رداء »

وما زلت في الدنيا أطوف بخمري
وحولى شمع هازى بوفائى
إلى أن دهانى اليأس فاخترت عزلة
أقتس فيها عن حطام رجائى
وذوبت خمري في إناء من الهوى
لأشربها ممزوجة بيكائى

فشاهدت قلبي في إنائي ضاحكاً
به دعة عذراء في خيلاء
فأدنيته من مرششفى وشربته
وما زال ماء الحب ملء إنائي



مُستجد الكلام وشريف الأفكار ، ثم ذبوع هذا (الأدب) بينهم ، ونهايتهم عليه ؛ لما به من مغريات الشباب وعوامل استمالته ومخادعته . (والفتى آلف لما يستعيد) . فضع ما شئت من مادة بين يدي الحدث ، وخذه بها ، وأدمه عليها ، يطيع عليها لا محالة .

٥ - الشعر الجدير

رضينا أمام القارئ في كلتنا السابقة^(١) وصفاً إيجابياً لمنظومة من (الشعر الجديد) حاولنا أن نكشف به عن الطابع العام لهذا الشعر . فإذا هو - كما يمكن أن يتخيل القارئ - مجموعة من التفكك والاضطراب ، والبرقشة^(٢) والإغراب . ولولا خشية الإملال لوصفنا غيرها وغيرها ، فلدينا من هذا الشعر أكداس . وقد وعدنا أن نزيد في هذا الكشف في أثناء حديثنا كلما عنت مناسبة . ونجد الآن الفرصة سانحة للإشارة إلى مظهر آخر من مظاهره البارزة : ذلك هو الإسراف في بث المجاز والاستمارة في تضاعيفه ؛ وتحميل الكلام منهما أحمالاً ثقيلة ، والنلو في ذلك غلوّاً شديداً . ولا تحسبن أن هذا عن بصبر بهما ، أو علم بأصولهما ، أو إحاطة بأساليبهما ، فذلك مطلب جدّ عسير عليهم ؛ فقد أزعجنا بعض السطار عن ماهيتهم ، وأبنا شيئاً من طرائق تزييفهم ، ووسائل تمويههم . وإنا الذي يصنعون صور منهما اقتضيت اقتضالاً ، وصيغت على أمثلة صاخبة متراكبة ، وصبغت في قوالب غثّة ، مما زار في الأدب الرخيص الشائع الآن بين العامة وأشباه العامة ويضطرنّ هذا المقام أن أقول - والأسف عملاً نفسي - إن بلية هذا (الأدب) ليست مقصورة على هؤلاء الشعراء وغيرهم من صفار الكتاب ، بل تجاوزتهم إلى الطلاب ممن لم يُزِيلوا بعد مقاعد الدراسة الثانوية . فعملت فيهم عمل الدوس ، وأفسدت من سلاقتهم ، وشلت من ملكاتهم ، ولوثت من نفوسهم .

وطالما جهرت -- بقلبي وبلساني -- بأن هذا الضعف الملحوظ في منشآت الطلبة الآن إنما مبعثه قلة ما يقرءون من

ولقد كنت أرى ممن خالطتهم من الإنجليز في بلادهم ، أن الوالدين يحرصان كل الحرص على انتقاء ما يطلعه الأبناء في أوقات فراغهم ، ويحولان بينهم وبين ما يمس أخلاقهم ، أو يضر لغتهم ، ويبذلان في ذلك أعظم الجهد فلا ولد هناك مكتبة ، ولبيت مكتبتها ، حافلة بما يقوى العقل ، ويقوّم الخلق ، وينضّي اللسان . والنساء من أبنائنا محرومون كل هذا ، مهملون إهمالاً يكاد يكون شاملاً . وقد انصرف أدباؤنا وشعراؤنا عنهم ، وأمعنوا في نسيانهم ، وكتبوا وألفوا للكبار وحدهم ؛ ألهم إلا محاولات لا تنفع علة ، ولا تبلى صدى

أعود - وقد استطردت مرعماً - إلى ما كنت بسبيله من الكلام في المجاز والاستمارة ، فأقول : إن الأساليب المريبة النقية قد اقتصدت فيهما اقتصاداً ، فلا تلجأ إليها ، ولا إلى التشبيه أو غيره من طرق البلاغة إلا لفرض حافز ، لا للزينة وحدها . أو التهويل . يستبين ذلك في كلام الأبيسياء من أمة الترس قديماً وحديثاً ، لا الذين احتفلوا بالتنميق والتزويق ، وتممّلوا وتكلفوا ، وجملوا الكلام بضاعة تزخرف كما تزخرف السلع المعروضة للأظار

وهذا كتاب الله ، وهو في الذروة من البيان ، لا ترى فيه - إذا تجوز - إلا السهل المقنع الذي رحيكت مادته من المؤلف السائغ ، والبسيط المستند

ولامرية مناججها في التعبير ، وروحها في التصوير ، وهما يمسها في التفكير . ويفهم عنها هذا من تمرس بها وكابدها وتوفر عليها - ولها فوق ذلك - صرائفها ولينها وسلاستها

فمعبّروا - في هذا النطاق - عما تدعون من غريب مبتكراتكم ، وبديع تجديداتكم ، ثم دعونا نفهم عنكم ، إن استطعتم

فلم « رصاصه في القلب »

طغى على الأفلام المصرية - وهي في طور النشأة - نوع من الفن الغليظ يعمد إلى استدراج الدموع بتلفيق الحوادث المروعة، وإفئاد المواقف المثيرة، أو إلى إثارة الضحك بالحركات المبتذلة والتكاثرات المكشوفة. وكان هذا الأسى العنيف، أو هذا اللغو السخيف، طبيعياً أول الأمر لعجز الكتاب والممثلين والمخرجين عن إدراك الفن الصحيح، فكانوا يتوخون التأثير من جوانبه السهلة وطرقه القريبة، كتمثيل ما يؤثر بطبيعته من نكبات الفاقة والبؤس والمرض والموت، أو تصوير ما يضحك بذاته من شخصيات الحشاشين والفلاحين (البرابرة)، وكل ذلك في إخراج ينسجم في قبحه واضطرابه مع سخف الرواية وضعف التمثيل.

أما فلم « رصاصه في القلب » لواءه الأستاذ توفيق الحكيم، وممثله الأستاذ محمد عبد الوهاب، ومخرجه الأستاذ محمد كريم، فشئ آخر يختلف في لهوه وجوه وفنه. هو قطعة من الروح الرقيق الرفيق العذب، فيه الفكاهة وليس فيه الإسفاف، وفيه النشوة وليس فيه العريضة. رواية طريفة الموضوع فنية الوضع مطردة الحوادث هادئة السياق؛ وتمثيل طبيعي الحركات منسجم الأشخاص بارع المواقف؛ وإخراج قام على فهم روح المؤلف وإدراك طبائع الممثلين، فرتب المشاهد، وحرك الأشخاص، وسلسل العمل، على نظام عجيب من الفن جعل كل شخص وكل شئ في هذا العلم قائماً بعمله المطلوب، وموضوعاً في موضعه الحق ولعل أعجب ما في هذا الفلم أن عبد الوهاب الممثل كاد يطغى على عبد الوهاب الموزيقار! فقد كان الجمهور مفتوناً برشاقة حركاته وعذوبة كلماته وصدق تمثيله، حتى كان انتظاره للقطع الغنائية على روعتها وجالها في هذا الفلم أقل منه في الأفلام السابقة. وربما كان مرجع ذلك أيضاً إلى أن روح الفنان التمثيلية غلبت على روحه الموسيقية، فذهب الحديث في التلحين يغلب فيه تمثيل المواقف والنظم المبر، دون أن يكون للقرار تلك النغمة الخاصة التي كانت تشق الحناجر بالهتاف وتندى الأكف بالتصفيق.

وجلة القول أن (رصاصه في القلب) فصل جديد في تاريخ النهضة السينمائية المصرية يسمح للذين قاموا على إنتاجه وإخراجه أن يضموه يوم المنافسة بجانب الأفلام الأمريكية من غير تهيب ولا تردد.

ولقد كنت عمدت إلى دنفة من هذا « الشعر » فنثرت ما أمكنتني أن ألم شعثه منها بعد جهد وعناء، فحصل لدي صفحات كنت أبني عرضها، كلمة من كلمات ابتغاء التمثيل فلما عدت إليها بعد ذلك أيتها تمثيلاً غير صادق لمذهبهم؛ إذ أن ألقاظهم وحدها هي - الحقيقة - التي تكشف عما أوضحت من خصائصهم. وما بدت الألفاظ، تكشف عنها الأشخاص. وقد آثرنا - كقولنا من قبل - أن نكون عن هذا بمنأى

* *

حاشية: بعد أن فرغت من مقالي هذا، جاءتني الرسالة (عدد ٥٦٦) وبها كلمة موجزة للكاتب الفاضل الأستاذ دريني خشبة، يتقدم بها آرائي في (الشعر الجديد)، وأسأبب - إن شاء الله - (للحديث بقية)

(١. ع)

مول شعراء الشباب

الأستاذ « دريني خشبة » رائد لهذا الجيل، في جميع فنون الأدب بلا استثناء، ومن ذلك من الشعر بلا مرأى! وهو يحمل المشعل لشعراء الشباب؛ فكانوا يجندهم تجنيداً للتمثيلية الشعرية، وآناً ينافع عنهم منافخة الراعي الذي يشملهم بالمطف والحماية، إذا عن أحد من الشيوخ أن يهاجمهم، كالأستاذ « ١. ع »

ولأن الأستاذ رائد من رواد الجيل، ولأنه راع للشباب بوجه خاص، فإن عطفه يتسع ويتسع حتى يشمل الكثيرين، فيسلكهم في عداد الشعراء

والحمد لله والمنة على أنني كنت في مرتين أو أكثر ممن وسمهم عطف الأستاذ الذي وسع كل شئ... حتى لقد وسع شعراء بحكم الوظيفة، وشعراء بحكم الأقدمية، وشعراء بحكم النظم، وشعراء بحكم محاولة النظم، وشعراء بحكم برقة النظم؛ وسلك هذه الكثرة الكثيرة مع تلك القلة القليلة التي تستحق لقب الشعراء. وهذا عطف سابغ ولا شك. ولكن ما رأي الأستاذ الفضال، لو رجوت في ألا يشملني بعطفه الواسع؟ ولو أنه هبت إليه كذلك أن بعض من حشد في كلمته رجونه مثل هذا الرجاء في خاصة أنفسهم... مع خالص الشكر، وموفور التحية

سبح قطب



الرواب ومرصمه التاريخ

عمرو بن العاص

للسيدة وداد سكا كيني

وتركوا في الدنيا دويًا ، ففرب المؤلف بلباقته وبراعته
ما تناءى من التاريخ على القارئ . ومن للناس في كل
حين بالطبرى والدميرى والطبقات والسير وكتب التراجم
والأخبار ، فهم إن عركوا أوراقها ومزقوا جلودها من طول
البحث فيها والتنقيب ما حصلوا منها على طائل ولا نالوا من نائل ،
حتى كانت مثالة الأدب الحديث ، فأورد القراء بكرام الكتّابين
موارد الموهولة في التاريخ والسير ، إذ سكبوا بيانهم على الحوادث
القوابر ، فردوها نواضر وبعثوا أجيال الأجيال لتكون لهم
فيها أسوة ومنفعة

وكذلك فعل المقاد في كتابه الجديد ، فارتدت رداء امرأة
من نساء العرب وخلطت نفسى بنسوة من قريش يمجبن بصنع
عمرو وخليفته ، ويرين إلى أبيه العاص بن وائل وهو في الدروة
من بني ميم فيشققن مما يخوض به الرجال من ملازم عمرو بن
العاص وضمة نسبه لأمه السبية ، وأنها كانت كبرى المغنيات
في مكة وآخذهن لأجرة . فقلت لله هؤلاء العرب الأشداء الذين
عبدوا أنسابهم فتنافسوا فيها وناشدوا بها الرجال والنساء ،
وأرادوها في الخيل والسيوف ! ثم رأيت عمراً وقد أفضت
مضجبه هذه الفرحة الدامية ، وأنداده في حجة منى وعافية ،
صليتهم تقيه وحسبهم معروف ، فكانت مفاز الحساد لابن العاص
حوافر مرهفة لتعاليه ونشدانه البسطة في الوجاهة والثروة . وقد
أعدته المواهب والشبائل لبلوغ ما صبا إليه في زهو الشباب ،
وكان يرى بلحظ الغيب نصيباً من المجد والسلطان أدركه في
عنفوان الرجولة وفي عهد الفتح المبين

لقد عرض الأستاذ المقاد عمراً في مماريض الدهاء المبكر ؛
إذ كان يحمل خلافاً قد استحکم بين طلحة بن عبيد الله والزبير
ابن العوام . وإذا بالإسلام يظل العرب فيندبه الرسول عليه
السلام ليحكم بين جماعة من قومه يهددون المسلمين فيكسر
ابن العاص شوكة الظالم ويقل جمع الباغين بدهائه وفطنته ،
فتتطامن له الشجاعة والحيلة ، ويتركوا ذكاؤه مع الأيام القابلة
وهو ما يزال يحس بين جنبه هذه الشوكة النازخة في نسبه
لأمه التي يجهر بخبرها الناس إذا خلا بعضهم إلى بعض ، ويسرونها
كلا وأوه فيزداد طموحه وتقريه وثبات هذا الطموح بالناس

كان لي عجب أن رأيت الأستاذ عباس محمود المقاد ، على
غير ما خيل إليّ ونفت ، فلما لقيته تهيت جانبيه وتحييت
في تحيته فوجدتني أدبر على لساني كلاماً أستل به ملامة وقرت
في نفسه يوم دفعت عن المرأة لما شاء الأستاذ الجليل أن يصمها به
من الفثاة في الفن والضالة في المبقريات ، وقد كنت في سؤالي
الخيال أحسبه قد بسط على منكبيه من أدبه التين بردين من
المنجيه والخيلاء ؛ ولكن حين أتيت مصر سألت عنه من
يعرفه فوصف لي بنير ما حسبت ، ولما سمعته صفراً الخبير
رجل جبار القامة ، رفيع الهامة ، ودبح الطلعة ، يفيض
حديثه من علم عقله وشموه قلبه ووحى ضميره ، ويمد يصره إلى
أغوار الكلام فيتناول لآلى المعاني ، ويجول في آفاق الفكر
تجوال الأديب المسكين . قلت له لا تنريت على أن يكون أول
ما أرى من ما تر مصراً أدها الخى ورويتها الرموقة في نوابها
وقادة الفكر فيها ، ونحن وإن اختلفنا في الرأي والمقالة ؛ فإننا
نرجع إلى الحرية . فتبسم عن رضى وتألفت فيه نفس الأديب الكريم
ومرغان ما عكفت بعد لقياءه على كتابه الجديد (عمرو بن العاص)
فقرأته بإعجاب نسبت فيه ما كنت أحسه من كآبة الاغتراب
في نفسى ، وألفيتني أستمع للتاريخ وأندبر الأحداث ، فإذا أنا
بين دفتى كتاب على نسق المبقريات ، وسمه ناشروه بأعلام
الإسلام ، فكان فاتحة لجهنم المحمود . جلا فيه المقاد عمراً
في شخص قد عظيم من شخوص العرب الذين صدوا للدهر

الأسباب للثلاث بالأمارة والزينة على من يفاخرونه بشرف
الأمومة

ويعت أبو عمرو ، وكان من سرارة المهملين ، فأخو عمرو
يرث أباه ويكون ذا مال ، وعمرو قل فقير ، فأين ماله من أبيه ؟
ها هنا يقبل الأستاذ العقاد . - الرأي ومدار البحث حول
هذه المسألة ، فربنا عمرًا وقد بنى بناظرًا على رضى أبيه . ولم يعلم
حتى مات أبوه الذي رغب عن الإسلام ، وأنه لا يبعد أن يكون
عمرو قد أصاب شيئًا من الميراث . نفق منه ما أنفق بعد يأسه
من تجارة الحيشة والشام ، ولم تن له عند ولايته على مصر
إلا اليسير . على أني أجد تعليلًا لـ عمرو سهلًا هينًا ، أفلم تقل
أمه : أنظروا من يشبهه فألحقوه . وكان عمرو في صغره يرى
غنا لأبيه ، ثم صار جزارًا . وما لك بشيخ من أقرام العرب
كالعاص بن وائل أبي عمرو يلقبه هذا المظن في نسب ولد يميز
إليه ولم يكن للعرب يومئذ حكمة يدفعون بها عن أنفسهم
ما لحقهم من سوء الأنساب . ولاد يمزون إليهم كرهاً ،
وكيف حاول أبو سفيان إخفاء نسب ابنه زياد ، فلا يبعد أن
يلجأ العاص بن وائل إلى حرمان عمرو من ماله وهو عنده شيء
مادى مقدر ومقوم بالدينار والدرهم . وكان من خصال بني مهمل
الطال في الدين ركم كانوا له بلوب . ولعله قال يكفي عمرًا أن
ينتهي ويدعى إلى العاص

ولا جرم أن مثل هذا الخطر من ببال الأستاذ العقاد ،
ولكن ما كشفت عنه نصوص الرواية . وكان جهده في حقائق
التاريخ أسد الآراء وأبلغ الحجج ، فإذا علل الأستاذ المؤلف سر
طموح ابن العاص وتعاليه بفقدان نسبه الطيب لأمه ، فما أخرى
التعليل بميله للمال وتكالبه عليه لحرمانه الميراث

أما نفس ابن العاص فقد حلل العقاد تفاريقها وألوانها من
وجهات عدة ؟ فأوتنه عرضها في نفس متها لك على الثراء ، وجاء
بالبرهان على ذلك في أقوال عمرو وأفعاله منذ عهد الرسول إلى
وفاته بمصر بعد فتحها الثاني . وأوتنه يشرح بديهيته ودرابته
واضطلاله بالحكم والولاية ، وظفرفه بالثقة والخبرة اللتين مكنتاه
من الفتح والنضال ، فهو في حضرة البطريق ينجو من مكيدة ،
وهو في مبارزة للإمام على ينجو بالحيلة والدهاء

وهذا عمرو كهلاً يدلف إلى أعز العمر بأساً وحصافة ،
فهو فاتح فلسطين ثم فاتح مصر مرتين . وهذا عمرو شيخاً
منهوماً بثلث شرقاً إلى المال وله ضيعة وحشم ، ويكون من همه
بعد أن عزت عليه الخلافة أن تكون له مصر ولاية جامعة ،
فينال ما يبتنى ويموت فيها ويدفن في ثراها

قلت ما أحسن كتباً يطرف بها الناس أديب الكنانة
الأستاذ العقاد ، فهو بعد أن طوف طويلاً في آفاق فنه بالأدب
الصرف ، تلفت صوب الماضي الأغر واتصل بما أثره الخالدة ،
فعاد منها بما غاب عن الفارثين وزودهم بمقريات وهاجة في تاريخ
الإسلام نقيض في محمد بن عبد الله وصحبه وأبطاله ، وهذا لعمري
أجل فضل يؤديه الأديب للسيرة والتاريخ .

وما انتهت من كتاب العقاد (عمرو بن العاص) حتى
قلت : يا لله لمصر الخيرة ، وبالمجد العرب فيها ! لقد ملكوها
ردحاً من زمان في عهد الفراعنة ، وكانوا رعاة إبل وغنم يسمون
« الهيكسوس » ؛ وفتحوها في عهد الإسلام ، وهم أهل دين
وحضر ، وكانوا يسمون صحابة رسول الله !

(القاهرة)
دواد سكاكيني

إدارة البلديات - مباني

تقبل العطاءات بإدارة البلديات
(بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم
٢٢ أبريل سنة ١٩٤٤ عن عملية
إنشاء سراحض ومباول بمجهة الأربعين
بالسويس وتطلب الشروط والزسومات
من الإدارة على ورقة دمغة فئة
الثلاثين ملياً نظير ١ جنيه و ٥٠٠ مليم
بجلاف ٦٠ ملياً مصاريف البريد .

٢٠٥٧